تصور إسلامي للإرشاد والعلاج النفسي المعرفي

د . سعيد بن أحمد سعيد الغامدي(*)

مقدمة:

في البداية ولعل ذلك من الإنصاف للإسلام وللبشرية القول أن المبرر الرئيس للتأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية عموماً وعلم النفس والإرشاد والعلاج النفسي بالأخص ليس في الأصل مطلباً اعتقادياً أو دينياً كما قد يتصور الكثيرون فهو ليس الغيرة و الحماس الديني الذي يدفع المؤمن عاطفيا ووجدانياً إلى سحب اعتقاده على كل شيء سواء كان ذلك مُبرراً أو غير مُبرر ؛ولكن المبرر الرئيس لتأصيل العلوم الإنسانية إنما هو إصلاح المنهج الذي حاد تاريخيا عن الطريق القويم للبحث عن الحقيقة دون أساس علمي لذلك الميل عن الحق .

إن العلم في حد ذاته ليس هدفاً بل وسيلة لغاية وهي عبادة الله سبحانه الواحد الأحد على الوجه الصحيح وتسخير الكون وإعمار الأرض ولئن كان العلم الموصل لعبادة الله على الوجه الأكمل معروف الطريق لدينا نحن المسلمين المنفردين به في الكون وهو غير قابل للضياع أو الاندثار بحفظ الله للقرآن الكريم ،ولكن تبقى الغاية الثانية لوجود الإنسان ووظيفته في الكون والمتحققة من خلال العلم ألا وهي إعمار الأرض،وهو الأمر الذي يختلف فيه الناس بحسب أخذهم بالأسباب , ولقد مرت البشرية بفترة الحضارة الإسلامية وقرونها الأولى التي اجتمعت فيها غايات العلم من مصدر الإسلام ووسائل وطرق نابعة من ذلك المصدر الصافي , ولكن ابتعاد المسلمين عن دينهم جعلهم يفقدون قدرتهم على المعاصرة ويستوردون العديد من المفاهيم والقيم التي جعلت الذات الأصيلة غائبة؛ حيث فقدنا محكات التقييم الجيد وفقدنا الذات المرجعية التي تمكنا من تحديد تميزنا عن الأخرين , فأصبحنا ندرك واقعنا من خلال نماذج معرفية مستوردة وأصبنا بالتبعية الفكرية (حبيب ,

---

(*)مركز التوجيه والإرشاد - جامعة أم القرى

١٩٩٥ : ٢٩) والتي يبدوا أنها سنة في المجتمعات المهزومة نفسيا والتي أسماه (ابن خلدون ،١٤٢٢هـ:١٣٧) في مقدمته بولع المغلوب بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده .

ويقول الفاروقي إنه ليس هناك أمة قد تعرضت في مثل هذا القرن- العشرين - والذي سبقه لمثل ما تعرضت له الأمة الإسلامية من هزائم أو إذلال لقد هزم المسلمون وقتلوا وسلبت منهم أوطانهم وآمالهم , لقد استعمروا واستغلوا وحولوا عن ديانتهم أحيانا ورغم تعرضهم للظلم والعدوان فقد تعرضوا لتشويه السمعة وتلويث سمعتهم أمام الأمم " (الفاروقي , ١٩٨٢ : ٩) وأصيب كثير منهم بالهزيمة الداخلية .

إن علم النفس وجميع العلوم الإنسانية الأخرى التي تدرس في جامعاتنا هي علوم غربية في فلسفتها ووجهتها , أسسها علماء غربيون على نتاج بحوث أجريت في مجتمعات غربية غير مسلمة لها فلسفتها الخاصة من طبيعة الحياة والإنسان والكون ودور الدين في الحياة (نجاتي ؛ ١٩٩٢ : ٣٢١) .

ومهما يؤكد البعض من موضوعية علم النفس وعدم تحيزه أو العلم الخالي من القيمية فإن ذلك كما يقول (حبيب , ١٩٩٢م) فكرة مضللة للباحثين المسلمين فإن ما يختاره الباحث موضوعاً للملاحظة وما يختاره وسيلة للملاحظة وما يختاره موضوعاً للدراسة كلها تعبر عن الوضع الخاص المتحيز للعلم داخل كل مجتمع أي الخصوصية العلمية الاجتماعية , عدا عن منهجية البحث لدى الفلسفة الوضعية المنطقية التي تُسوّد الطبيعة والحس على العقل والدين معاً (محمد, ١٩٩٦: ٣١) .

إن هذه التبعية المهينة للغرب والشرق في العلوم الإنسانية وخاصة علم النفس لدليل على مرحلة الهوان التي تعيشها الأمة ومحاولات التأصيل التي بدأت حديثاً تعمل بشكل متماسك ومنهجي لهي بداية صحوة علمية تخرج المسلمين من جحر الضب الذي وضعوا فيه أنفسهم ويبين بدري (١٩٧٨م) أن هذا الجحر لم يسلم منه أساتذة التربية وعلم النفس في العالم الإسلامي إلا من وفق الله وهذا مصداق لحديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم "حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه".

إن للخروج من هذا الجحر أهمية كبرى ليس استجابة لعاطفة دينيـــة تـــدفع بصاحبها لسحب تحيزه على العلوم جميعاً وإنما هي " ضـــرورة معرفيـــة وضـــرورة حضارية للخروج من المأزق المعرفي المعاصر والأزمة الفكرية العالميـــة المعاصـــرة " (العلواني، ١٩٩٦م:١٦).

وفي هذا البحث سيعرض الباحث لوجهة نظره الخاصة لبناء نظرية إسلامية ذات توجه معرفي في إطاره العام ومنفتحة على كل ما يمكن أن يفيد المسترشد ضمن ضوابط ومعايير العقيدة والشريعة الإسلامية السمحاء

سيعرض الباحث لـــ:

- أهمية النظرية و الدور الذي تقوم به في العملية العلاجية الإرشادية .
- بناء نظرية إسلامية وفيه:

أ) مشروعية التأصيل الإسلامي لعلم النفس والإرشاد النفسي

ب) أهمية التأصيل الإسلامي لعلم النفس والإرشاد النفسي وسرد للتطور التاريخي لهذا المصطلح.

جـــ) ثم يعرض الباحث للافتراضات الأساسية التي يقيم عليهـــا الـــدارس نظريته وهي كالتالي :-

الافتراض الأول : التصور الإسلامي لعلاقة الإنسان بالله والكون والحياة الآخرة.

الافتراض الثاني: التصور الإسلامي لطبيعة الإنسان وفيه:

أ) ذكر لمراحل التطور الإنساني من وجهة نظر إسلامية.

ب) ثم خصائص وصفات النفس البشرية.

الافتراض الثالث: قابلية السلوك للتعديل .

الافتراض الرابع: الجوانب العقلية جزء هام في تعديل السلوك.

الافتراض الخامس: تصرفات الإنسان تقوم على أساس من الوعي والشعور بها.

الافتراض السادس: أن المسئولية فردية وجماعية دنيوية وأخروية .

الافتراض السابع: يقرر الإسلام مبدأ الفروق الفردية.

الافتراض الثامن: الإرشاد والعلاج يكون بدافع من الشخص نفسه.

الافتراض التاسع: مبدأ الإرشاد والعلاج علم ثم عمل.

الافتراض العاشر: مبدأ اختيارية القرار وحرية التصرف.

الافتراض الحادي عشر: المنهج الإسلامي ينير للمرشد طريقه سواء كان عمله في الجانب الإنمائي أو الوقائي أو العلاجي.

ثم يتعرض الباحث للأهداف العلاجية المفترضة.

ثم يتحدث عن نمو الشخصية من وجهة نظر إسلامية .

ويعقبها الحديث عن الاضطراب النفسي من وجهة نظر التصور الإسلامي المقترح.

ثم يتحدث الباحث عن العملية الإرشادية العلاجية كعنوان يندرج تحته العناوين الفرعية التالية:

- المحددات العامة للعلاقة الإرشادية.
- دور المرشد.
- دور المسترشد.
- الفنيات العلاجية المقترحة.
- مجالات تطبيق النظرية المقترحة.

ويختم الباحث بحثه بعرض مثالين لأسلوب معرفي وجداني من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة كأمثلة نموذجية يقاس عليها . نسأل الله العون وإخلاص النية في القول والعمل.

أهمية النظرية والدور الذي تقوم به في العملية الإرشادية والعلاجية

ذكرت حداد (١٩٩٣) أن من أهم ما تقوم النظرية في علم النفس هو تقديم افتراضات فلسفية حول الطبيعة الإنسانية وكيفية التوصل إلى فهمها ويمكن تلخيص الدور الذي تقوم به النظرية في الإرشاد النفسي بالتالي:

١) ملاحظة علاقات لم نكن لنلاحظها لولا السير وفق نظرية(الشناوي،١٩٩٤).

٢) المساعدة على الفهم والتفسير والتنبؤ بالسلوك.
٣) تساعد النظرية المرشد على اختيار الأساليب و الفنيات الإرشادية العلاجية المناسبة لمسترشد معين في ظروف معينة (حداد،١٩٩٣).
٤) النظرية توجه سلوك المرشد في العملية الإرشادية وتزوده بمعيار يقيس عليه سلوكيات المسترشد السوية وغير السوية(حداد،١٩٩٣).

بناء تصور إسلامي للإرشاد والعلاج النفسي المعرفي

أهمية بناء تصور إسلامي التأصيل الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي

إن الأهمية الكبرى تكمن مشروعية ووجوب وضع تصور إسلامي أو تحديد وجهة إسلامية لعلم النفس والإرشاد والعلاج النفسي.

فإذا كانت أول آية نزلت في القرآن الكريم هي " اقرأ " التي جعلت هذه الأمة أمة قراءة وعلم , وإذا كان القرآن الكريم قد دعا دعوة صريحة إلى تأمل الكون فإنه بنفس القدر يدعونا دعوة مباشرة لتأمل النفس فيقول الله تبارك وتعالى : {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} سورة الروم (٨)

وقال تعالى : {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} سورة التغابن(٣)

وقال تعالى : {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} سورة فصلت(٥٣)

وقال تعالى : {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ} سورة الذاريات(٢٠)

ويشير (أبو حطب , ١٩٩٣) إلى أن العلم الحق يؤدي بصاحبه إلى التعرف على آيات في الكون وهو بهذا يقود الإنسان إلى الله ويصله به ويصبح العلم محققاً للغاية من خلق الإنسان التي حددها الله سبحانه وتعالى في قوله سبحانه : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} سورة الذاريات(٥٦)

قال تعالى : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} سورة فاطر(٢٧)

ويورد حلمي في (أبو حطب : ١٩٩٣) أن خشية العلماء لله سبحانه وتعالى جاءت بعد أن ذكر الله إشارات وأمثلة لما وصلته المباحث الحديثة في علوم الجيولوجيا والبيئة والوراثة والنبات والحيوان والأجناس البشرية وهدف العلماء من هذه العلوم هو التعرف على آيات الله في الكشف عن سنن التي تحكمها وهو ما يؤدي إلى شعور هؤلاء الباحثين بالخشية من الخالق العظيم , وتمتد هذه الحالة إلى علماء العلوم الإنسانية والاجتماعية والتي من بينها علم النفس .

مفهوم التصور الإسلامي أو التأصيل الإسلامي لعلم النفس

مر مفهوم التأصيل الإسلامي بعدد من المراحل التي اختلفت فيها المصطلحات ودلالاتها وبدأت من مرحلة فيها قدر كبير من الغموض ومحاولة تلمس الصواب إلى التمايز و التعدد الكبير ثم مرحلة الاستقرار والتقارب من مفهوم مشترك فقد بدأ هذا الاهتمام من العلماء المسلمين في الهند والباكستان في مرحلة مقاومة العبث الفكري والذي قادته بريطانيا في بلاد المسلمين هناك ثم انتقل غرباً إلى البلاد العربية التي كانت تواجه نفس العبث البريطاني ومن أوائل العلماء في هذا الصدد أبو الحسن الندوي وأبو الأعلى المودودي وإسماعيل راجي الفاروقي ومن المشرق العربي محمد عثمان نجاتي عن رسالته التي جاءت بعنوان " الإدراك الحسي عن ابن سينا " عام ١٩٤٢م ثم محمدقطب في كتابه " الإنسان بين المادية والإسلام " عام ١٩٥٢ , وأحمد فؤاد الأهواني الذي طالب عام ١٩٦٢م بعلم النفس إسلامي في مقدمة عبد الكريم العثمان لكتابه المعنون بدراسات نفسية عند علماء المسلمين والغزالي بوجه خاص (العثمان : ١٩٦٢م) .

ثم توالت الدراسات في الجهود من مجلات تختص بأسلمة المعرفة عقد عدة مؤتمرات تهتم بقضية التأصيل في كل من جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود

بالمملكة العربية السعودية وانضم إلى هذه الجهود المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن وعقد عدة مؤتمرات وندوات في هذا المجال.

واستقر أغلبية من يعمل في هذا الميدان على مصطلح التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية .

وقد عرف رجب (١٩٩٦) التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية: عبارة عن عملية إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد كمصادر للمعرفة بحيث يستخدم ذلك التصور الإسلامي كإطار نظري في تفسير المشاهدات الجزئية المحققة والتعميمات الإمبريقية (الواقعية) وفي بناء النظريات في تلك العلوم بصفة عامة (ص:٤٤).

ومن تلك التسميات المختلفة يختار الباحث مفهوم "التصور الإسلامي" لعلم النفس.

أهمية التصور الإسلامي لعلم النفس

كما أسلف الباحث في المقدمة فإن هناك أسباباً موضوعية تدعو إلى وضع تصور إسلامي أعمق من كونها حماسة دينية أو تعصب للمعتقدات الإسلامية ومن هذه الأسباب :

١- تأثر البحث العلمي في العلوم الطبيعية والإنسانية بالظروف التاريخية والخيارات الثقافية والقيمية وحالة الصراع الكبير مع الكنيسة ضد العلم والذي انتهى باستبعاد الكنيسة وأثرها على جميع مظاهر الحياة الغربية واستبعد معها الدين والوحي والقيم وهي رده فعل غير متوازنة أقعدت البحث العلمي عن القيام بدور متزن .

٢- وصول البحث العلمي إلى طريق مسدود في الكثير من القضايا نتيجة التصور الناقص للإنسان في منهجية البحث الوضعي فهو تصور جزئي للنفس الإنسانية مثل قصور الدراسات النفسية على جانب واحد واختلاف هذا الجانب من

عالم لآخر والاهتمام بالجانب المادي (الهاشمي : ١٩٧٧) ويشهد واقع المجتمعات الغربية وما يحويه من مآس إنسانية ومشكلات اجتماعية عميقة وعجز العلوم السلوكية عن إيجاد حل جذري لتلك المشاكل التي تتفاقم كل يوم على ذلك الطريق المسدود .

٣- إن علمية علم النفس واجهته إشكالية كبيرة فالمدارس النفسية المتزامنة أو المتعاصرة لا تؤدي إلى نمو تراكمي للمعرفة السيكولوجية وهذه الأزمة تزامنت مع أزمة العلوم الطبيعية التي ظلت تحت الفكر العلمي النيوتني ما يقارب ٢٣٠ عاماً اهتزت من الأساس بظهور النظرية النسبية وفيزياء الكم , وعندما حلت هذه الأزمة باقتراح " بريد جمان " للمفاهيم بأنها لا تزيد عن مجموعة من الإجراءات ثم ما تسبب فيه هذا التعريف من إشكالات أخرى دفعت بـ(بريدجمان) إلى التخلي عن تحديد تعريف إجرائي للمفاهيم بعد أربعين سنة .

هذا يدفعنا إلى التيقظ والخروج من جحر الضب الذي وضعنا أنفسنا فيه أو كلما وقع القوم في خطأ تبعناهم فيه وإذا رجعوا عنه رجعنا , ونحن لدينا ما نستطيع تقديمه للبشرية وتاريخ البحث التجريبي في العلوم الطبيعية يشهد لنا .

٤- إن المسلمين هم أصحاب الريادة في ظهور المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية في الماضي (رجب , ١٩٩٦م) وهم من أنقذ الحضارة الغربية من ضيق الدائرة المغلقة للقياس الصوري الأرسطي العقيم إلى سعة الاستقراء المنهجي القائم على المشاهدة بالحواس وهو ما يدفعنا للأمل أن يقوم المسلمون مرة أخرى مستندين إلى ما حباهم الله به من علوم الوحي بتصحيح مسار الفكر والعلم الإنساني في محيط دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية ليعود المنهج بعد طول شرود إلى الطريق الصحيح بعد أن توقف عطاء المسلمين لأسباب وعوامل وظروف لا تخفى على أحد .

٥- إن التصور الإسلامي " التأصيل " كما يقول (يالجين , ١٩٩٦م) يؤدي إلى تنمية الإيمان في نفوس الدارسين ويؤدي إلى تدعيم القيم الإسلامية في نفوسهم بمنهجة المتوازن والشامل.

٦- يؤدي التواصل مع التراث العلمي الإسلامي إلى إيجاد تراكم معرفي يخرج المخطوطات العربية الهائلة من دائرة الظل إلى نفع البشرية .

٧- يؤدي إلى تكوين شخصية إسلامية مستقلة ومتميزة .

الافتراضات الأساسية التي يقوم عليها بناء نظرية في الإرشاد والعلاج النفسي وفق التصور الإسلامي

الافتراض الأول : التصور الإسلامي لعلاقة الإنسان بالله والكون والحياة الآخرة وما فيه الإنسان .

١- علاقة الإنسان بربه :

تحدد علاقة الإنسان بربه بالعبودية الكاملة لله قال تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} سورة الذاريات(٥٦).

ويوصّف الكيلاني (١٩٩٢ : ٧٣) مظاهر العبادة في ثلاثة أبعاد رئيسة هي :

أ- مظهر ديني : موضعه علاقة المسلم بربه .

ب- المظهر الاجتماعي : موضوعه علاقة الفرد بالجماعة في الحياة الاجتماعية .

ج- المظهر الكوني : موضوعه التوجيهات الإلهية لعلاقة الفرد بالكون المحيط به .

وأي فصل للمظهر الديني عن المظهر الاجتماعي والكوني يؤدي إلى فصل للغايات عن وسائلها فتخسر العلوم الاجتماعية والكونية وينتهي أمر المجتمع إلى الذل والتبعية كما هو حاصل الآن .

٢- علاقة الإنسان بالكون :

علاقة الإنسان بالكون علاقة تسخير , وهو تطبيق للمظهر الكوني للعبادة والغاية من التسخير أن يعلم الإنسان أن قدرة الله المطلقة وعلمه المطلق ورحمته المطلقة في نعمه التي لا تحصى فيشكره ويقبل على طاعته قال تعالى : { وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون } (النحل:١٢).

وميادين التسخير هي الآفاق الكونية وميدان النفس ويبين الكيلاني (١٩٨٨م)أن حسن استغلال مؤهلات الإنسان تتمثل في :

أ- قابلية الإنسان للتعلم والقدرات التي وهبها الله أياه لاكتشاف قوانين الله في الكون وفي الأنفس .

ب- القدرات العقلية والمهارات الجسدية التي تمكنه من تحويل القوانين الكونية إلى تطبيقات وصناعات .

٣- علاقة الإنسان بالحياة :

وهنا أيضا يظهر تميز جوهري للتصور الإسلامي لعلاقة الإنسان بالحياة يعتمد عليه هذا التصور المقترح في الإرشاد والعلاج النفسي المعرفي وهو: أن الإنسان في حالة مكابدة ومشقة دائمة في الحياة الدنيا قال تعالى "لقد خلقنا الإنسان في كبد "(البلد: ٤) وقال تعالى "يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه"(الانشقاق:٦)

لذلك فعلى الإنسان المسلم أن يوطن نفسه على أن المشقة والابتلاء من طبيعة الحياة وأن الابتلاء والمشقة يكون بالخير كما يكون بالشر قال تعالى " وتبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون " (الأنبياء :٣٥) وذكر النحلاوي (١٤١٦هـ) أن على المسلم أن ينظر إلى الحياة الدنيا على أنها وسيلة إلى الآخرة ومكان عبور إليها ولا يجوز اتخاذها غاية ويبني سلوكه فيها على هذا الأساس قال تعالى: "أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل " (التوبة : ٣٨)؛وحتى يعيش الإنسان في حالة من السلام النفسي الداخلي وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم معادلة متوازنة مع أحداث الحياة وذلك بقوله :" عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " رواه مسلم .

إن هذه النظرة تخالف ما تقوم عليه المدارس النفسية المختلفة في تحديد علاقة الإنسان بالحياة من البحث عن اللذة والمتعة وما ولده ذلك من صراع وضغوط نفسية عالية لمواجهة ارتفاع مستوى المتعة الدائم ومجابهة الضغوطات مما يجعله في حالة صراع

لا تنتهي بخلاف ما هو مفترض من المسلم الملتزم من حالة الرضا الدائم في السراء والضراء.

٤- علاقة الإنسان بالآخرة :

هي علاقة مسئولية وجزاء فالمسئولية تعني أن كل إنسان سوف يسأل عن تفاصيل ما ابتلي به في الحياة قال تعالى : { فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون } (الحجر :٩٢، ٩٣) وحدد الإسلام مستويات المسئولية بدءاً بالرسل وأدائهم لرسالتهم ثم مسئولية القيادة الدينية والفكرية والسياسية والتربوية ثم مسئولية الفرد عن نفسه وفقدان المسئولية سبب الكثير من الصراعات الاجتماعية والنفسية ولعل هذا جانب أغفلته الكثير من المدارس النفسية وركزت عليه المدارس الواقعية وليم جلاسر وأتت بنتائج جيدة رغم أنها ذات نظرة جزئية تركز على المسئولية الفردية (صديق , ١٩٨٢م) .

٥- علاقة الإنسان بأخيه الإنسان

وهي علاقة العدل والإحسان بمعنى الإنصاف والتفضيل والزيادة في المعاملة الحسنة

قال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } سورة النحل(٩٠)

يرى الكيلاني (١٩٩٢م) وتطبيق العدل أدنى حد للعلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان ودوائر العدل وحلقاته متعددة تشمل جميع العلاقات البشرية وتبدأ من عدل الإنسان مع نفسه ثم أسرته فقرابته فالعشيرة والمجتمع والأمة وأخيراً الدائرة الإنسانية جمعاء قال تعالى :" وذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"(النساء: ٥٨) .

أما الأصل في العلاقة فهو الإحسان ومعناه التفضل قال تعالى "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم

"(فصلت :٣٤) وغياب علاقة العدل والإحسان يؤدي إلى الظلم والطغيان وظهور علاقة الصراع والبقاء للأقوى والمصالح المتبادلة كما في الغرب

الافتراض الثاني: التصور الإسلامي لطبيعة الإنسان :

لما للنظرة الإسلامية والتصور الإسلامي لطبيعة النفس البشرية من تأثير على البناء النظري والعملية الإرشادية العلاجية بكاملها فإن الباحث سيتوسع في هذا الجانب وفق القضايا التالية :

(القضية الأولى : الفطرة) .

في مقالة مسددة تحدث إدريس (١٩٧٨) عن التصور الإسلامي لطبيعة الإنسان بعد أن فند علميا نظرية حياد الإنسان ونظرية أصالة الشر في الإنسان .

فذهب إلى أن الإنسان يولد خيرا فهذا ما تقتضيه رحمة الله وفضله وحكمته فرحمة الله تقتضي أن الرحمن هو الذي يعطي الخير ابتداء وكرماً وهو الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم فرحمته جعلته يخلق النفس الإنسانية سوية .

وهذا الأمر يناسب حكمته سبحانه لأن الحكيم لا يصنع شيئاً ناقصا أو يجعل طبيعته غير ملائمة للغاية التي خلق من أجلها أو غير مهيأ لبلوغها , قال تعالى : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"(الذاريات :٥٦) وهذه الطبيعة الخيرة هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وقد عبر عنها الله سبحانه وتعالى بقوله : "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (سورة الروم: ٣٠)

وأشار إليها بالإشهاد في قوله تعالى : "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ"(سورة الأعراف :١٧٢)

المقصود بالخير الذي فطر الله عليه الإنسان :

- السلامة من العبودية لغير الله .
- الاعتراف بعبودية الإنسان لخالقه .

- أصول القيم الأخلاقية مثل العدل .
- القوانين العقلية كالعلم بأن الإنسان لا يخلق نفسه وأن الكلام المتناقض باطل
- القيم الجمالية مثل حب الجمال والنظافة .(إدريس ،١٩٧٨م)

وهو وإن كان مفطوراً على الخير إلا أنه قابل للشر قال تعالى" وهديناه النجدين "(البلد: ١٠)

القضية الثانية : خلق الله الإنسان من طين وروح

قال تعالي : (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)(ص:٧٢،٧١)

إذن فهو كائن مزدوج الطبيعة (محمد , ١٩٩٦م) الإنسان قادر على التفكير والجدل مسئول عن اختياراته ويقول نجاتي(١٩٩٢) , من الواضح أن التسليم بحقيقة خلق الإنسان من مادة وروح يؤدي إلى رفض المفاهيم النفسية السائدة التي تعتمد على نظرية دارون في صورتها الفجة الشائعة في أن الإنسان حيوان من رتبة عليا , كذلك يؤدي هذا المفهوم إلى رفض السلوك الإنساني على أساس مادي ميكانيكي بحت والتي تغفل تأثير النواحي الروحية في سلوك الإنسان .

القضية الثالثة : الإنسان حر الاختيار والإرادة :

قال تعالى : {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا} سورة الكهف(٢٩)

والآيات في هذا المجال كثيرة ويتبع حرية الاختيار حرية الإرادة واتخاذ الوسائل ا لكفيلة بالتنفيذ , وهما أساس مسؤولية الإنسان القانونية عن أعماله وهي أيضا أساس مسؤوليته أمام الله تعالى في الآخرة .

ولقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تعرضت لطبيعة تكوين الإنسان وصفته وأحوال النفس المختلفة وبينت أسباب انحرافها ومرضها (نجاتي ١٤٢١هـ:٢٣) .

قال تعالى : {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} سورة الملك (١٤).

خصائص التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية :

تكمن أهم خصائص التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية في :

١- الشمول والتكامل بين جوانب الطبيعة البشرية .

٢- المرونة والقابلية للتشكيل .

٣- واقعية المثل والقيم الأخلاقية في الإسلام . (سلطان ، د.ت) .

مراحل التطور الإنساني من وجهة النظر الإسلامية المقترحة :

أصل الخلق :

خلق الله الإنسان وكرمه ، خلقه من ماء . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.(الأنبياء : ٣٠) ،﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ ﴾. (النور:٤٥). وخلقه من طين، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾.(المؤمنون:١٢). الروح ،قال تعالى : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾. (السجدة : ٩) .

مراحل النمو الإنساني من وجهة نظر إسلامية:

فيما يلي تصور مقترح لمراحل النمو الإنساني .

ويمكن تقسيم مراحل النمو الإنساني على النحو التالي :

١- مرحلة ما قبل الولادة	من بداية الحمل حتى الولادة
٢- مرحلة الوليد أو المهد	من الولادة حتى نهاية الأسبوع الثاني
٣- مرحلة سني المهد (الرضاعة)	من الأسبوع الثاني إلى نهاية السنة الثالثة
٤- مرحلة الطفولة المبكرة	وتبدأ من السنة الثالثة وحتى الخامسة
٥- مرحلة الطفولة الوسطى	وتبدأ من السنة السادسة وحتى الثامنة
٦- مرحلة الطفولة المتأخرة	وتبدأ من سن التاسعة وحتى الثانية العاشرة
٧- مرحلة المراهقة	وتبدأ من سن الثانية عشر وحتى الواحد والعشرين
٨- مرحلة الرشد والشباب	من الواحدة والعشرون إلى الأربعين
٩- مرحلة الأشد والقوة	من الأربعين وحتى الستين من العمر
١٠- مرحلة الكبر أو الشيخوخة	وتمتد من الستين إلى نهاية العمر

١١- الموت (مرحلة انتقالية)

١٢- الحياة الآخرة (بار،١٤١٣ ٤٥).

وسوف يعرض الباحث المراحل المميزة للتصور الإسلامي ، وهي مرحلة ما قبل الولادة ومرحلة الموت (البرزخ) ومرحلة الحياة الآخرة فقط .

وتتلخص مرحلة ما قبل الولادة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية في :

١- مرحلة الصلب والترائب .
٢- مرحلة النطفة .
٣- مرحلة العلقة .
٤- مرحلة المضغة .
٥- مرحلة العظام .
٦- مرحلة الخلق الآخر .

وبعد أن تكتمل مراحل خلق وتخلق الإنسان تأتي مرحلة خروجه إلى الحياة الدنيا . (السقا ، ١٤٢٢هـ) .

وأدلتها من القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة في العرض ليقيم الله الحجة على خلقه – وهو غني عنهم سبحانه– بأن من خلق من عدم قادر على إعادة الخلق والبعث من جديد ومن ذلك قوله تعالى "خلق من ماء دافق.يخرج من بين الصلب والترائب "(الطارق:٦، ٧) وقال تعالى" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين .ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " (المؤمنون : ١٢، ١٣، ١٤)

مرحلة الموت (مرحلة انتقالية) البرزخ :

قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. (الرحمن:٢٧) . وقال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.(آل عمران : ١٨٥).

مرحلة الحياة الآخرة :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾.(المؤمنون:١٦) .ذكر قطب في (بار ،١٤١٣هـ) أن البعث مؤذن بالطور الأخير وبعده تبدأ الحياة الكاملة المبرأة من النقائص الأرضية لا خوف ولا قلق ولا حزن .وهذه المرحلة هي التي تحرك الإنسان المسلم باتجاه تحقيق أهدافه.والإيمان بها من عدمه معيار للصحة النفسية في هذا التصور المقترح .وهو ما سيشار إليه في موضعه

خصائص وصفات النفس البشرية :

وقد لخص بار (١٤١٣هـ) تلك الخصائص والصفات فيما يلي :

١- الكائن الإنساني جمع في تكوينه عنصرين : عنصر التراب وعنصر الروح قال تعالى" وإذ قال ربك للملائكة أني خالق بشراً من صلصال من حمئ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين "(الحجر:٢٨، ٢٩) .

٢- الكائن الإنساني ليس شريراً كما أنه ليس ملاكاً .﴿وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠) ولكنه مفطور على الخير .

٣- الكائن الإنساني يتشكل في مراحل نموه وتطوره عن طريق تأثيرات بيئية ونفسية وتربوية واجتماعية وتاريخية واقتصادية ودينية وحضارية، وتلعب هذه المؤثرات دوراً ملحوظاً في تكوين شخصية كل فرد وبالقدر الذي تسمح به قدراته واستعداداته الذاتية بالتأثير الإيجابي أو السلبي في سلوكه .

٤- الكائن الإنساني استخلفه الله في هذه الأرض واختصه بذلك دون سائر خلقه وكرَّمه على كثير ممن خلق .﴿ {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾(سورة البقرة: ٣٠) .﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ ...﴾(سورة البقرة: ٣١) .﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(التين: ٤)

٥- إن الكائن الإنساني لديه من الإمكانيات والطاقات والقدرات العقلية والفكرية الإيجابية والتي تجعله يدرك الحقائق الكبرى في الوجود . ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.(سورة النحل:٧٨) .

٦- إن الكائن الإنساني مسؤول عن نتائج تصرفه ولديه الحرية في الاختيار ويتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج ، وبما أن الله سبحانه وتعالى قد زوده بالسمع والبصر والعقل ، فكل إنسان مسؤول عن سلوكه في هذه الحياة . ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (سورة الطور: ٢١) .

٧- إن الكائن الإنساني لديه القدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع غيره من بني البشر ، فالله سبحانه وتعالى زوده بهذه الخاصية ليستخدمها في تعامله مع الآخرين .﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.(سورةالحجرات:١٣).

٨- الكائن الإنساني مخلوق يتصف بالعجز والنقص .﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾.(سورة النساء:٢٨).

٩- إن الكائن الإنساني لديه القدرة للتحكم والسيطرة على سلوكه وتصرفاته. ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾(سورة القيامة:١٤، ١٥) .

الافتراض الثالث: قابلية السلوك للتعديل .

يؤكد الإسلام دائماً على قابلية الإنسان للتعلم ، وعلى أن الله سبحانه وتعالى قد زوده بالحواس وبالعقل ليستقبل ثم ليدرك ويحل ويقارن ويميز ويفكر ويتحكم في جوارحه في قوله وفي عمله قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾(العنكبوت :٦٩)وقال تعالى﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾(المدثر:٣٧)وقال تعالى﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها﴾(الأنعام:١٠٤).

الافتراض الرابع : الجوانب العقلية جزء هام في تعديل السلوك :

إن محور الهداية والانضباط في حياة الإنسان يقع في قدراته العقلية التي بها ميزه الله وكرمه على سائر المخلوقات ، وبها خاطبه ﴿ أفلا تعقلون ﴾ (آل عمران:٦٥)(الأنعام:٣٢) وقال تعالى﴿ لعلكم تعقلون﴾ (يوسف :٢)وقال تعالى ﴿ قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾(الحديد :١٧).

الافتراض الخامس تصرفات الإنسان تقوم على أساس من الوعي والشعور بها :

والأصل في تصرفات الإنسان من وجهة نظر الإسلام أنها تحت سيطرة عقله الواعي والناضج ولهذا ارتبط التكليف بالعقل والبلوغ . وفي ضوء المنهج الإسلامي فإن الشخص غير الواعي لا يسأل عما يعمل ، وفي هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : "رفع القلم عن ثلاث النائم حتى يستيقظ ، والمجنون حتى يفيق ، والصبي حتى يبلغ " .

الافتراض السادس أن المسئولية فردية وجماعية دنيوية وأخروية :

فالفرد البالغ مسئول عن عمله ويحاسب عنه وحده إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولكن هناك أيضاً مسئولية جماعية ، فالمؤمنون يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾. (سورة التحريم : ٦) .فهذه الآية عبرت عن المسؤولية بلازمها وهي المحاسبة فيحاسب عن نفسه ويحاسب عن من هو مسئول عنهم وقال صلى الله عليه وسلم "كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته "(الألباني ، ١٤٢٥هـ) والمحاسبة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة وهو فرق جوهري يميز التصور الإسلامي للنظرية المفترضة عن الافتراضات التي تقوم عليها المدارس النفسية في الغرب أو الشرق.

الافتراض السابع يقرر الإسلام مبدأ الفروق الفردية :

فالأفراد متباينون في الخلق وفي الرزق وفي السلوك ، ولكل فرد طاقته يرتبط التكليف بها . ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ..﴾ (البقرة :٢٨٦) ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ (الطلاق :٧) .

الافتراض الثامن: الإرشاد والعلاج يكون بدافع من الشخص نفسه :

فالإنسان مطالب في الإسلام أن يحاسب نفسه وأن يزكي هذه النفس وأن يأمرها بالخير وينهاها عن الهوى .﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. (الرعد:١١) .

الافتراض التاسع: مبدأ الإرشاد والعلاج علم ثم عمل :

ولأن الإنسان قد كرمه الله بالعقل فإنه يحتاج أن يعلم أولاً ما هو الصواب وما هو الخطأ ثم يعمل بما علم به قال تعالى﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾(يوسف :١٠٨) فقبل أي عمل يكون العلم والتبصر في الشيء .وقال تعالى "ولا تقف ما ليس لك بعلم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً "(الإسراء : ١٧)

وقال تعالى ﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾(لقمان:١٥)وهنا قبل تنفيذ أوامر الوالدين لابد من العلم بمضمون بلك الأوامر فإن أدت إلى شرك فيجب عدم الطاعة .

الافتراض العاشر: مبدأ اختيارية القرار وحرية التصرف :

وللفرد المسلم متى بلغه العلم وتحقق لنا علمه أن يتحمل مسئولية ما يصل إليه من قرار .﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾.(البقرة : ٢٥٦). على أن هذا الاختيار مرتبط بتحمل المسئولية بما يحدث للفرد ذاته من نتائج أو بما يتحمله من مسئولية عقابية يقررها الشرع على انحرافه قال تعالى ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾(الطور:٢١).

الافتراض الحادي عشر المنهج الإسلامي ينير للمرشد طريقه سواء كان عمله في الجانب الإنمائي أو الوقائي أو العلاجي :

ففي الجانب الإنمائي أو الإنشائي نجد أسس التربية الإسلامية واضحة في أجل صورها بضرورة أداء العبادات والفضائل النفسية العائدة على المسلم من كل العبادات بدءاً من نطق الشهادتين والالتزام بأركان الإسلام والعبادات جميعاً من وضوء وصلاة وصيام وذكر وتفكر وغيرها قال تعالى " من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"(النحل : ٩٧). وفي المستوى الوقائي ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(النور : ٣١) .أما المستوى العلاجي فيتمثل في تنفيذ الحدود الشرعية التي تطهر الفرد المخطئ وتحمي المجتمع من الوصول إلى ما وصله هذا المذنب ومن ذلك قوله تعالة:" الزانية والزاني فاجلدوا كل واحج منهما مائة جلدة " (النور: ٢)

وسيتم التوسع في هذا الجانب في الخطة العلاجية المبنية على هذا الافتراض .

نمو الشخصية :

الشخصية هي أفكار أو تصورات ، وهذه الأفكار تنمو مع الشخص من خلال التعلم ، وإذا كانت هذه الأفكار أو هذه التصورات سوية فإن شخصية الفرد تكون كذلك .

ما موقف الإسلام من موضوع الشخصية ؟

في الواقع إن الإجابة على هذا السؤال قد تحتاج إلى مؤلفات لأن الإسلام لم يضيق المفاهيم ولم يتدنّ بالإنسان إلا حيث يخرج عن إطار الهداية الموجود كما قلنا في أصل الفطرة .

ويمكن أن نقول أن شخصية الإنسان المفطور على الخير والذي يقبل البشر هي شخصية ذات دافع الفطري بإفراد العبادة لله وحده .

ونظرة الإسلام لنمو الشخصية – كما يراها الشناوي(١٩٩٤:٤٧٥) وكما يتبناها الباحث – نظرة أكثر شمولية وشديدة الاتساق عن كل ما مر بنا من نظريات فهي كالآتي :

١- الإنسان مخلوق على الخير وعلى الإسلام .

٢- يحمل الإنسان في فطرته معرفته لربه وإقراره بعبوديته له سبحانه .

٣- ويأتي الطفل إلى العالم مزوداً بالحواس ولكنه خال من العلم وهو يتعلم من خلال هذه الحواس .

٤- وأول مدرسة يتعلم فيها هي مدرسة الوالدين المسلمين .

٥- وتنمو شخصية المسلم لتحقيق الغاية الوحيدة لها وهي عبادة الله وحده ولتقوم بوظيفة الخلافة في الأرض .وسلوكها مدفوع بضرورات وحاجيات وتحسينات تحرسها ضوابط الإسلام .

٦- أنه إذا مر المسلم بموقف صراع أو تردد بسيط ، فإن شعوره الإيماني سرعان ما يغلب الموقف الصحيح ويشجب كل خاطر سيء حتى يصبح السلوك هو السلوك المستقيم القائم على الإيمان والتقوى .

٧- وحالة السواء أو الصحة التي يصل إليها هي النفس المطمئنة القائمة على الإيمان والاستقامة . ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(الأحقاف: ١٣).

الاضطراب النفسي من وجهة نظر التصور الإسلامي المقترح :

يمكن تلخيص الاضطراب النفسي في قوله تعالى :﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه: ١٢٤) فالابتعاد عن ذكر الله ومفارقة حدود الله سبب الاضطراب النفسي ، الذي لا يمكن زواله إلا بالرجوع إلا الله . ولا يعني ذلك بحال من الأحوال أن من يلتزم بالدين مبرأ من القلق والهم والحزن فهذه أحوال ملازمة لطبيعة الحياة على هذه الأرض . قال تعالى :﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد:٤)ولكن ما يميز ذلك موقف المسلم من مسببات وظروف القلق والهم والحزن .

الأهداف العلاجية المقترحة :

١- الهدف الرئيس : والذي تسعى إليه هذه النظرية – وأي نشاط يقوم به المسلم – هو المساهمة في تحقيق غاية خلق الله للإنسان في الأرض وهي عبادة الله سبحانه وتعالى. ويذكر الشناوي (١٩٩٤م) مساعدة المسترشد على العودة إلى الطريق الصحيح والالتزام بتعاليم الدين .

ويمكن أن نستخلص أن تطبيق الخطة العلاجية والإرشادية يتطلب تحقيق الأهداف العلاجية التالية (بار،١٤١٣) :

٢- زيادة وعي المسترشد لذاته وفهمها فهماً واضحاً مدركاً لأبعادها وقدرتها واستعدادها وميولها وما لها وما عليها .

٣- مساعدة المسترشد بقبول ذاته والرضا عنها وأن يثق بها .

٤- إكساب المسترشد للخبرات والمهارات والأساليب الأكثر كفاءة للتغلب على المشاكل المحيطة به وإكراه نفسه على مواجهتها .

٥- تبصير المسترشد بقدراته ودوافعه وبأنماط سلوكه ومساعدته لإعادة تنظيم أساليب تعامله مع نفسه ومع غيره في المجتمع .

٦- تقوية صلة وعلاقة المسترشد بخالقه سبحانه وتعالى ومنطلقاً أساساً من مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

٧- مساعدة المسترشد على بناء شخصية إسلامية صالحة في إطار الإيمان الديني والأخلاقي والروحي والاجتماعي والصحي والنفسي والفكري لتحقيق السعادة في دنياه وأخرته.

٨- مساعدة المسترشد في اختيار واتخاذ قراراته بنفسه والتي تتوافق مع خصائصه الشخصية وتتلاءم مع إمكانياته وقدراته وتشبع حاجاته الشخصية .

٩- تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي للمسترشد بما يكفل له الاتجاه السليم مع ضميره والتكيف الملائم مع البيئة التي يعيش فيها .

العملية الإرشادية العلاجية للنظرية المعرفية الإسلامية المقترحة

أ) العلاقة الإرشادية :

تعتبر العلاقة الإرشادية حجر الزاوية في نجاح أي عملية إرشادية أو علاجية وعلى طبيعة التفاعل ومستوى العلاقة بين المرشد والمسترشد تتحدد فاعلية العلاج المقترح ومدى قدرته للوصول إلى الأهداف الموسومة في بداية الجلسة وفي الإطار النظري الذي تستند إليه النظرية المعرفية الإسلامية المقترحة .

المحددات العامة للعلاقة الإرشادية المقترحة :

تتصف العلاقة الإرشادية ببعض الخصائص منها :

١- الجانب الوجداني :

تتسم العلاقة الإرشادية بأن محتواها العاطفي (الانفعالي) أكثر من المحتوى المعرفي . فالعلاقة تهتم باستكشاف المشاعر والإدراكات الشخصية .

٢- النمو والتغيير :

العلاقة الإرشادية علاقة دينامية ، ومعنى ذلك أنها في تغير مستمر باستمرار تفاعل المرشد والمسترشد ،وكما أن المسترشد ينمو ويتغير فكذلك العلاقة الإرشادية تنمو وتتغير .

٣- الخصوصية :

إن كل ما يدلي به المسترشد يعتبر سرياً ، ويلتزم المرشدون فيما يتفقون عليه من قواعد أخلاقية لمهنتهم أن يصونوا ما يبوح به المسترشدون في أثناء المقابلات الإرشادية من أن تنتقل إلى غيرهم مالم تكن هناك موافقة كتابية من المسترشد نفسه . وهذا الجانب الوقائي في العلاقة الإرشادية جانب أساسي ومن شأنه أن يساعد المسترشدين على أن يكونوا صرحاء ، وألا يترددوا في تزويد المرشد بالمعلومات .

٤- المساندة :

يوفر المرشدون من خلال العلاقة الإرشادية للمسترشدين نظاماً للمساندة يزودهم بالاستقرار المناسب لتغيير سلوكهم واتخاذ قراراتهم .

٥- الصدق :

إن العلاقة الإرشادية تقوم على الصدق والصراحة والاتصال المباشر بين المرشد والمسترشد ،وإذا خلت العلاقة من الصدق فإنها سرعان ما تتدهور ولا يفيد المسترشد من موقف الإرشاد .(الشناوي ، ٩٦) .

ب) صفات المرشد على ضوء المنهج الإسلامي :

١- العلم :

فالمرشد الذي يعمل على ضوء المنهج الإسلامي يعمل من خلفية علمية تساعده على معرفة الأشخاص الذين يتعامل معهم وطبيعة نموهم ومشكلاتهم وطبيعة الانحرافات وأسبابها وطبيعة المشكلات وأسبابها وكيفية تناول هذه المشكلات على ضوء المنهج الإسلامي .

٢- المهارات :

فالمرشد يحتاج أن يتدرب على مهارات مختلفة يأتي في مقدمتها العمل وجهاً لوجه مع المسترشدين في إطار علاقة إرشادية ومن خلال المقابلة .

٣- الصفات الشخصية :

لابد للمرشد الذي يعمل على ضوء المنهج الإسلامي أن يتحلى بمجموعة من الصفات الأساسية منها :

- التدين : ويقصد بذلك أن يكون سلوكه الديني معروفاً ، وأن يكون هذا السلوك قائماً على فهم كافٍ بأمور الدين خاصة مسائل العقيدة والحلال والحرام

- تطابق الأقوال والأفعال : أي أن يكون قوله مطابقاً لعمله ، إذ من الصعب أن يقتنع المسترشد بكلام يقوله المرشد ولا يعمل به .﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف:٣).

- الاعتراف بكرامة المسترشد : إذا اعترف المرشد أساساً بأن الإنسان الذي يتعامل معه إنسان مكرم ، ومحا من نفسه أي مشاعر أو اتجاهات سلبية نحوه .

- الرفق : المرشد الذي يعمل في ضوء المنهج الإسلامي يتخذ الرفق شعاراً له في كل خطوات عمله - والرفق هو المفتاح للقلوب - .﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(آل عمران).

٥- مراعاة مصلحة المسترشد :

فالمرشد من المسترشد بمثابة الوالي من الضعيف ، فالمسترشد في موقف مشكلة وهو بحاجة إلى من يأخذ بيده في هذا الموقف .

ج) دور المرشد في بناء العلاقة الإرشادية :

على المرشد أن يصل بقدراته ومهاراته في العملية الارشادية إلى تحقيق الشروط التالية للعملية الإرشادية :-

١- التطابق (الأصالة) :

يقصد بالتطابق أو الأصالة أن يكون المرشد قادراً على أن يكون هو نفسه بدون الحاجة إلى واجهة مهنية يختبئ وراءها . والمرشد الأصيل هو الذي لا يختبئ وراء قناع

أو يكتفي بأداء " دور المرشد " وهو يوصل أصالته في العلاقة لأنه يكون واعياً بمشاعره وتصرفاته على النحو الذي يعايشها.

إن الأصالة من جانب المرشد تسهم في وجود علاقة ذات فاعلية علاجية مع المسترشد بتقريب المسافة الانفعالية بينهما ،وكذلك بمساعدة المسترشد على التطابق مع المرشد وأن يرى في المرشد شخصاً آخر مشابهاً لذاته .

٢- التفهم القائم على المشاركة : :

إن القدرة على المشاركة الوجدانية (التعاطف) في العلاقة الإرشادية تستدعي أن يستجيب المرشد بحساسية ودقة لمشاعر المسترشد وخبراته كما لو كانت تخصه والمشاركة الوجدانية تعني قدرة المرشد على تبني الإطار المرجعي الداخلي للمسترشد بحيث يمكن فهم العالم والمعاني الخاصة بالمسترشد بدقة ومن ثم توصيلها من جديد إليه . وهذه العملية التي تسمى " تقمص التجربة " .

٣- الاحترام أو التقدير الإيجابي :

يعني التقدير الإيجابي أو الاحترام القدرة على تقدير المسترشد كشخص له قيمة وله كرامة .وتوصيل التقدير الإيجابي للمسترشد يؤدي عدداً من الوظائف في تكوين علاقة إرشادية فعالة منها أنه يوصل للمسترشد رغبة المرشد في العمل معه .

وهناك أربعة جوانب أساسية للتقدير الإيجابي هي : وجود إحساس بالالتزام نحو المسترشد ، وبذل الجهد لفهم المسترشد ،وتعليق (حجب) الأحكام النقدية ، والتعبير عن قدر معقول من الدفء .(الشناوي ، ٩٦) .

إن الدفء والمشاعر الإيجابية يمكن للمرشد أن يوصلها للمسترشد بطرق لفظية (بالكلام) ،وكذلك بطرق غير لفظية .

فمن الطرق اللفظية أن يقول المرشد " إني مهتم بمشكلتك " " موضوعك أنا مهتم به " " أنت ستكون موضع اهتمامي " .

أما الأساليب غير اللفظية فمنها : نظرة العينين ، نبرة الصوت ، تعبيرات الوجه ، وضع الجلوس ، القرب من المسترشد ، ولمسات الحنو .

٤- متانة ودقة التعبير :

ويشتمل على التعبير الطليق والمباشر ، والكامل عن مشاعر وخبرات معينة بصرف النظر عن محتواها الانفعالي .ويتضمن هذا البعد :

١. تضمن المتانة أن استجابة المرشد تكون قريبة من مشاعر وخبرات المسترشد.

٢. تضمن المتانة بالدقة في تفهم المسترشد ، كما تضمن إزالة سوء الفهم والتعرف عليه عندما تصاغ الخبرات والمشاعر في اصطلاحات محددة .

٣. تدفع المتانة أو دقة التعبير ، المسترشد لأنه يتعامل بتحديد كبير مع مجالات المشكلات والصراعات الانفعالية . (الشناوي ،٩٦ : ٦٥) .

ويتبنى الباحث في دور المرشد لبناء علاقة إرشادية فاعلة موقف بار (١٤١٣هـ،٧٩) الذي أشار إلى أن تكون العلاقة التي يبديها المرشد علاقة إنسانية في ضوء تعاليم الدين الإسلامي وتوجيهات وإرشادات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حتى تكون هذه العلاقة متسمة بطابع إسلامي قلباً وقالباً قولاً وعملاً وتكون مؤثرة في حقيقتها وأهميتها وموجهة الوجهة الإسلامية الصحيحة في إطار التوافق مع القيم والعقيدة .

وعلى المرشد وفق هذا التصورذو التوجه المعرفي الإسلامي أن يكون متمكناً من الأساليب المعرفية في بناء العلاقة الإرشادية وفي سير إجراءات العلاج المعرفي ، كما أن عليه أن يؤطر الأساليب المعرفية في العينات المستخدمة وأن يعرضها على المحكات العقدية والشرعية الإسلامية . وهو ما سيشير إليه الباحث في موقعه .

٥-التماسك والترابط :

وهي المقدرة والرؤية التكاملية لبعض الصور غير المكتملة التي رسمها المسترشد للكلمات والألفاظ عن مشاكله.

٦- الدفء.

قدرة للتواصل والعرض للأصالة والتطابق وهذه الأصالة والتطابق رعاية وعناية واهتماماً بالمسترشدين ؛ولكي يستخدم هذه القدرة على المرشد أن يكون متقبلاً

للمسترشد ويقبل رغباته ومشاعره وأحاسيسه وبالتالي تساعده في الجوانب العملية لحل مشاكلهم

د) دور المسترشد وفق هذه النظرية :

هذه النظرية الخاصة موجهة للمسترشد المسلم وفق الإطار الثقافي والديني الذي هو ملتزم به ، لذلك وفي هذه المرحلة من بناء هذا التصور سنفترض أن جميع من سيتعامل معهم هم من المسلمين وسيكون الخطاب الديني لهم في هذه الحالة له معنى وتأثير بخلاف غيرهم.

على المسترشد أن يكون على يقين أن الشفاء من عند الله وأن من شروط تحقيق الشفاء بذل الأسباب ومنها التعامل مع المرشد النفساني المسلم :

- المسترشد عليه أن يكون نشطاً فاعلاً وإيجابياً .
- أن يلتزم بالواجبات المنزلية والتدريبات المعطاة له .
- أن يكون مجرباً وأن يستغل قدرات المرشد والعلاقة الإرشادية في تجريب المواقف الإرشادية .
- الالتزام بشروط العقد الموقع مع المرشد وأن يلتزم بالحضور في المواعيد المحددة.
- أن يهدف المسترشد منذ بداية العلاج وحتى منتهاه إلى أن تكون النية فيه خالصة لله بقصد إعادة بناء شخصيته بشكل إسلامي صحيح وفق مبادئ الدين.

ه) الخطة العلاجية المقترحة :

الخطة العلاجية ترتكز على محددين أساسين :

المحدد الأول : التوجيه الإسلامي لكل ما يدور بين المرشد والمسترشد من أهداف متوافق مع غاية وهدف الله من خلق الإنسان وهي عبادة الله سبحانه وتعالى وخلافة الله في الأرض وإعمارها .

المحدد الثاني : رغم أن النظرية المقترحة منفتحة على جميع النظريات النفسية في مجال بناء خطة علاجية واستخدام تقنيات فاعلة ، مثل اعتماد الباحث لمبدأ تحمل المسؤولية من المدرسة الواقعية كأحد أهم أسباب الاضطراب أو العلاج النفسي حسب

موقف المسترشد منه .إلا أن الباحث يمكنه القول أن المدرسة المعرفية تمثل أقرب المدارس إلى التوجه الإسلامي مع حذف المبادئ الفلسفية التي تصطدم مع مبادئ الدين كما في بعض تعميمات إلبرت إليس ، وقصر بيك للتعامل مع الاضطراب النفسي على الأفكار دون مراعاة للجوانب البيولوجية أو الفروق الفردية في التعامل مع المواقف الضاغطة ، كذلك اعتباره الانفعال الحاد سلوكاً غير توافقي ، ونتاج لأفكار غير منطقية ، وهو يتعارض مع مواقف يجب أن ينفعل فيها المسلم ويغضب إذا انتهكت حرمات الله وهو سبب منطقي والسلوك الناتج سلوك سوي . ولكن يمكن للمرشد المسلم أن يتجاوز هذه العيوب ويستفيد من الأفكار الأخرى ويوطنها لتتلاءم مع العقيدة والشريعة الإسلامية .

و) فنيات الخطة العلاجية :

الخطة العلاجية المقترحة ذات فنيات واسعة تشمل عدة مجالات هي :

أ- فنيات العلاقة الإرشادية الملتزمة بضوابط الشرع كإحدى وسائل العلاج في حد ذاتها .

ب- فنيات العلاج الإيماني .

ت- الفنيات والأساليب المعرفية .

ث- الفنيات والأساليب الانفعالية .

ج- الفنيات والأساليب السلوكية .

ح- أساليب وفنيات من مدارس متنوعة .

وفيما يلي طرح لتلك الفنيات .

أ) العلاقة الإرشادية :

سبق الحديث عنها كشرط أساسي وجوهري لحدوث أي تقدم في علاج المسترشد أو العميل .

ب) فنيات العلاج الإيماني :

لخص بار (١٤١٣هـ) هذه الفنيات تحت عنوان العلاج الروحي والنفسي .

وهذا العلاج له تأثير شمولي حيث يشمل الجوانب النفسية والفكرية معاً . فالمرشد المعالج بإمكانه أن يربط المسترشد بخالقه ويوجد في نفسه التوازن والاستقرار وقوة الإيمان لتكوين الشخصية الإسلامية الناجحة ، فهذه الوسيلة العلاجية لها تأثير عميق على حياة المسترشد وعلى علاقته مع الآخرين بحيث تصبح أكثر إيجابية وفاعلية وإنتاجية ومؤثرة على كافة جوانب حياته . ولنجاح هذا الفنية العلاجية بعض المرتكزات الأساسية والتي منها :

١- إخلاص النية في العمل .

٢- الإيمان اليقيني بالعلاج النفسي والروحي الرباني .

٣- حسن الظن بالله سبحانه وتعالى .

٤- الإرادة والعزم. (بار ، ١٤١٣هـ : ٧٨).

ومن أبرز فنيات العلاج الإيماني التوبة وهي مبحث عظيم جدير بالاهتمام ويختصره الباحث في تحقيق شروط التوبة لتحقيق أهدافها وهي :ـ

١) الإقلاع عن الذنب .

٢) الندم على ما فات .

٣) العزيمة على عدم العودة.

إن التصور النظري المقترح لهذه النظرية المعرفية الإسلامية ينظر إلى أن الإسلام هو منهج حياة متكامل والالتزام به بشكل كامل يضمن الحياة السعيدة الهانئة المتسمة بالصحة النفسية وهو في المجال النفسي وشامل لمجالات الإرشاد الثلاثة ، الوقائي ، النمائي ، العلاجي .

أولاً: المجال الوقائي ويمثله الالتزام بأحكام الشرع:

ويشمل الالتزام بأحكام الشرع ومنها غض النظر . قال تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ (النور : ٣٠)وليس المجال هنا للحصر .

ثانياً: النمائي وتمثله العبادات :

وهناك دراسات كثيرة تبين الفضائل النفسية العائدة على المسلم من كل العبادات بداية من الدخول في الإسلام ونطق الشهادتين والالتزام بأركان الإسلام

والعبادات جميعاً من وضوء وصلاة وصيام وذكر وتفكر له آثاره في الصحة النفسية والعلاج النفسي .

ويثبت الباحث هنا ما ذكره بدري (١٤١٥هـ) من أن التفكر في خلق الله هو العمود الفقري للإيمان الذي ينبثق منه كل خير ويذكر بدري أن ما توصل إليه علماء النفس المعرفيين في أن كل عمل يبدأ بنشاط معرفي داخلي كخاطرة أو تمثيل أو إدراك حسي أو انفعال توصلوا إلى أن هذا النشاط المعرفي إذا ازدادت قوته أصبح دافعاً للسلوك .(بدري،١٤١٥هـ :٣٢).

ثالثاً : الجانب العلاجي في الشرع ويمثله إقامة الحدود الشرعية:

ويمثله الحدود الشرعية وما في إقامتها من استقامة للحياة النفسية للفرد والمجتمع .

ويضرب الباحث هنا مثلاً بسيطاً بالانحراف الأخلاقي المتمثل في الجنسية المثلية ، واعتباره أحد أدلة فشل المدارس النفسية الغربية في التعامل معه ، حيث اعتبر من الأساس اضطراباً نفسياً لا يحتاج إلى أكثر من علاج وعندما فشلت جميع المدارس النفسية في علاجه ثم استبعاده من قائمة الاضطرابات النفسية واعتبار الجنسية المثلية سلوكاً غير مضطرب ولا يوصف بالمرض ومع ذلك فالمشكلات النفسية الناجمة عن هذا الانحراف تعصف بالمجتمعات الغربية . أما النظرة الإسلامية المتكاملة التي تحمل المسئولية للأب والأسرة والفرد والمجتمع في ردع مثل هذا الانحراف من بدايته وليس في وجوب شهود حد مثل هؤلاء ثم في إقامة الحد إذا تجاوز الفرد الشاذ في إظهار هذا الانحراف حتى يستأصل هذا الفساد من المجتمع ليس في ذلك قسوة بهذا الفرد بل رحمة بمجتمع وأجيال لاحقة لم تأبه بها كل المدارس النفسية الغربية .

ج – الأساليب المعرفية الإسلامية :

أ – مثل أسلوب وقف الأفكار : وذلك عندما تهاجم المسترشد بعض الأفكار الوسواسية حيث يعلم المرشد المسترشد أساليب إيقاف هذه الأفكار .(عقل ،٢٠٠٠م : ١٢٨) .

فبدل أن تستخدم كلمات مثل توقف ، توقف نستخدم الاستعاذة بالله ، وذكر الله . قال تعالى :﴿ فإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ (الأعراف : ٢٠٠)

ب – الحوار المنطقي للوصول إلى الأفكار غير المنطقية وتصحيح الأفكار والاتجاهات ،ويتميز التصور المقترح بوجود معيار ثابت وصحيح وهو المعيار الديني المأخوذ من القرآن والسنة . قال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (تبارك : ١٤) .

وهذه أحد الاختلافات المهمة مع المدرسة المعرفية بشكل عام .

ج– إن أسلوب الوعظ ولكن على أسسه الصحيحة بدفعه إلى تمثل حالة المسترشد في أن يتوافق سلوكه مع معتقده، كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام تعتبر من وسائل وفنيات العلاج التي يمكن أن يلجأ إليها المرشد المسلم المتبني لهذ التصور ففي حالة إدمان المخدرات أو شرب الدخان فإن بيان موقف الشرع والتذكير بأن اعتبار العفوية الإلهية أولى وأهم من النظر إلى الأضرار الصحية والاجتماعية لمثل هذه المشكلات .

د– الأذكار : إن التحصين والأوراد الشرعية فيه من أذكار الصباح والمساء لهي مما يمكن أن يلجأ إليه وأتيت تعاليمها حتى في المجتمعات الغربية مع أناس غير مسلمين ، وفي هذا يمكن الاستفادة من الإيمان الوارد في كتاب التفكر من المشاهدة إلى الشهود .(بدري،١٤١٥هـ) الذي سبقت الإشارة إليه .كذلك أساليب حل المشكلات ، الإيحاء ، الإيحاء الذاتي ، التوكيد الذاتي ، وغيرها ضمن معايير هذا التصور .

د - الأساليب الوجدانية :

١– ملامسة المشاعر الإيمانية وأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وضرورة الإيمان والتسليم بقضاء الله وقدره .

٢– أسلوب التقبل غير المشروط .وهذه الفنية يقوم بها المرشد أولاً تجاه المسترشد .وهي تعني قبول المسترشد لذاته وليس قبول سلوكه أو تصرفاته ، ثم يقوم المرشد بتعليم المسترشد كيف يقبل هو ذاته وفق إمكاناته وقدراته وما منحه الله من صفات وخصائص تميزه عن غيره .

٣- أسلوب لعب الأدوار لمساعدة المسترشد على أن يعي كيفية التعبير عن انفعالاته.

٤- تدريبات مواجهة الشعور بالخجل والدونية وغيرها من أساليب المواجهة (عقل، ٢٠٠٠م: ١٣١) .

ويورد الباحث هنا مثالاً لأسلوب معرفي وجداني من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة كما في (الشناوي، ١٩٩٤) حيث ينبه القرآن الكريم في كثير من المواقف الإنسان المسلم بمخاطبة عقله ومشاعره : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات : ١٢) .﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(البقرة : ٢٦٦). ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾(النساء :٢٩) .

ونقرأ في السنة النبوية هذه القصة :

روى أبو أمامة أن غلاماً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له :

يا نبي الله ، تأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أدن ، فدنا ، حتى جلس بين يديه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتحبه لأمك ؟ فقال : لا ، جعلني الله فداك ، قال صلى الله عليه وسلم : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟ قال : لا جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك ؟ قال لا جعلني الله فداك ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء أبغض إليه منه . (يعني الزنا) . رواه أحمد .

وفي هذا الحديث نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله رحمة للعالمين وهداية للناس قد ترفق بهذا الشاب وأمنه وطمأنه وأدناه من مجلسه ، ثم بدأ يخاطب عقله ومشاعره ، عقله ليتصور موقفاً يطلب أن يكون من مثله ، ومشاعره ليتصور

أن لو حدث هذا الموقف مع أخته أو أمه أو ابنته ويطلب منه أن يحكم على هـذا الموقـف وانتهى هذا الموقف العلاجي العظيم بأن وعى هذا الشاب الموقف وما يترتب عليه وما هي المشاعر التي تكتنف الآخرين وانتهى به إلى أن أنكر على نفسه ما جاء يطلب أو يرخص له فيه .

ونستخلص من هذا الحديث القواعد الآتية :

١- تكوين علاقة آمنة مع المسترشد ، فعلى حين صاح الناس بهذا الشاب فإن الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم قال له أدن مني ، وترفق به .

٢- مساعدة المسترشد على الحكم على سلوكه من خلال استعادة الموقف وتحليله ، وهنا وجدنا أن الشاب قد حكم كل مرة بإنكار السلوك "لا " جعلني الله فداك .

٣- استخدام النصح والكلام الطيب مثل الدعاء للمسترشد ،وهذا يزيد من قوة العلاقة إذ يتضح للمسترشد أن من يرشده يهمه أمره ويسعى لمصلحته(الشناوي،١٩٩٤).

هـ - الأساليب السلوكية :

تشتمل الأساليب السلوكية مجموعة واضحة من الفنيات التي يمكن لمتبني النظرية المعرفية الإسلامية المقترحة أن يستفيد منها .

١- أسلوب الثواب والعقاب .

٢- عرض النماذج ويتمثل ذلك في ذكر مواقف معينة للسلوك الصالح تعرضوا لمواقف ضاغطة وكيف كان تصرفهم فيها وعرض نماذج من الواقع .

٣- أسلوب الكف المتبادل .

٤- أسلوب الواجبات المنزلية .

و - أساليب متنوعة :

لقد حدد الباحث توجه التصور المقترح وأنه إسلامي الإطار ومعرفي الأساليب ضمن حدود الإطار المقترح مع التأكيد أن المدرسة المعرفية من أوسع المدارس تقبلاً لفنيات الإرشاد والعلاج من المدارس الأخرى ، ومع ذلك فلا يمكننا أن نعتبرها مدرسة انتقائية في مجال الفنيات ولكن النظرية المقترحة تقبل من الفنيات كل يتوافق مع معايير التصور وهي

المعايير الإسلامية الموضحة مع بنية الاتجاه المعرفي بشكل عام على الأقل في هذه المرحلة من مراحل بناء التصور ، فالتصور المقترح يحتاج لخدمة تنظيرية عالية المستوى وتجارب وخدمات معلمية ومؤسسات بحثية قوية تساهم في تطويرها وهذا ما يدفع الباحث إلى الاستفادة بشكل أكبر الجهود المبذولة في المدرسة المعرفية .

وكمثال على الأساليب المتنوعة الأخرى :

أسلوب تنمية الشعور بالمسؤولية :

وقد برز في مداه الأعلى على يد جلاسر صاحب المدرسة الواقعية ، وهذا الأسلوب يتفق مع معايير ووجهة النظر الإسلامية . قال تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المدثر:٣٨) وقوله صلى الله عليه وسلم : (كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ﴾ . متفق عليه . (الشناوي ، ١٩٩١م : ٢٦) .

ويتمثل ذلك بإيصال الفرد إلى درجة الوعي بأفعاله وأن يقول أنا مسئول عن ذلك وأتحمل المسئولية في تنفيذ الاتفاق .

مجالات تطبيق التصور المقترح والفئات المستفيدة :

مجالات تطبيق التصور الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي المعرفي مجالات واسعة تشمل :

١- المجال الوقائي .

٢- المجال الإنمائي .

٣- المجال العلاجي .

- كما أن التصور يتناسب مع أسلوب الإرشاد والعلاج الفردي والجماعي .
- ويمكن الاستفادة منها في مجال الإرشاد المهني ، مجال الإرشاد الزواجي .
- مجال الإرشاد الأسري ، وغيرها .
- ويمكن للمؤسسات التربوي الاستفادة منه كذلك المؤسسات الإصلاحية والعلاجية والسجون الاستفادة منها .
- التصور الإسلامي المقترح للإرشاد والعلاج النفسي المعرفي منفتح على أساليب التطبيق الحديثة من الإرشاد الالكتروني والتواصل عبر الإنترنت والإرشاد الجمعي

من خلال غرف البالتوك وغيرها من الإمكانات الحديثة المتاحة وما يمكن أن يجـــدّ مستقبلاً ما لم يخالف أصول الشرع المطهر.

المراجع

١- أبو حطب ،فؤاد (١٩٩٣م) : نحو وجهة إسلامية لعلم النفس في المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، إعداد : أبحاث ندوة علم النفس ، واشنطن :المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد ،(ت: ٨٠٨هـ) (١٤٢٢هـ) .مقدمة ابن خلدون ، بيروت :المكتبة العصرية .

٣- إدريس ، جعفر شيخ (١٩٧٨م) : التصور الإسلامي للإنسان أساس الفلسفة الإسلامية التربوية ،المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة.

٤- بار ، عبد المنان ملا معمور (١٤١٣هـ) العلاج النفسي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . مكة المكرمة :المكتبة المكية.

٥- بدري ، مالك (١٤١٥هـ) التفكر من المشاهدة إلى الشهود ، دراسة نفسية إسلامية الرياض :الدار العالمية للكتاب الإسلامي .

٦- بدري، مالك (١٩٧٨م) : علماء النفس المسلمون في جحر الضب ، مجلة المسلم المعاصر ،العدد :١٦ ، ص ص ٩٧-١١٠ مؤسسة المسلم المعاصر ، بيروت .

٧- حبيب ،رفيق (١٩٩٥م) : العلوم الاجتماعية بين التحديث والتعريب ، نموذج علم النفس ،في المسيري ،عبد الوهاب ،إعداد: إشكالية التحيز محور علم النفس ، واشنطن :المعهد العالي للفكر الإسلامي.

٨- حداد ،عفاف شكري (١٩٩٣م).النظرية أهميتها و دورها. مجلة اتحاد الجامعات العربية .عدد:٢٨ .ص ص :٢٦٢-٢٧٤ .عمان :الأمانة العامة للاتحاد.

٩- سقا ، جميلة بنت عبد الله (١٤٢٢هـ) : التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة .

١٠- سلطان ، محمود السيد (د.ت) : المغزى التربوي للطبيعة البشرية في الإسلام ، مجلة جامعة أم القرى : مكة المكرمة .

١١- الشناوي ، محمد محروس (١٤١١هـ) : التصور الإسلامي لشخصية المسلم . رسالة التربية وعلم النفس . الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية : الرياض .

١٢- الشناوي ، محمد محروس (١٩٩١م) : الأهداف العامة لمساعدة الأفراد على مواجهة مشكلاتهم النفسية كما تعرضها نظريات الإرشاد والعلاج النفسي الغربية . دراسة تقويمية في ضوء المنهج الإسلامي .بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية : القاهرة .

١٣- الشناوي ، محمد محروس (١٩٩٢م) : الإرشاد النفسي من منظور إسلامي في أبحاث ندوة علم النفس . فرجينيا :المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١٤- الشناوي ، محمد محروس (١٩٩٤م): نظريات الإرشاد والعلاج النفسي ، القاهرة:دار غريب.

١٥- الشناوي ، محمد محروس (١٩٩٦م) : العملية الإرشادية ، القاهرة دار غريب.

١٦- الشيباني ،أحمد بن حنبل(د.ت).مسند الإمام أحمد. الرياض :قرطبة للنشر

١٧- صديق،ضياء(١٩٨٢م).الإسلام والعلاج النفسي الواقعي .في مجلة المسلم المعاصر .عدد٢٩، ص ص ٦٩- ٨١. بيروت ،مؤسسة المسلم المعاصر.

١٨- العثمان ،عبد الكريم (١٩٦٢م) : الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي على وجه الخصوص . القاهرة:مكتبة وهبة .

١٩- عثمان نبيه عبد الرحمن (١٤٠٨هـ) : الإنسان ، الروح ، العقل والنفس، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي.

٢٠- عقل ، محمود عطا حسين (٢٠٠٠م) : الإرشاد النفسي والتربوي ، الرياض :دار الخريجي.

٢١- العلواني ،طه جابر (١٩٩٦م) : إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم ، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٢٢- عليان ، أحمد (١٤١٦هـ) : الإرشاد في الإسلام ، أصوله ، أهدافه ، ووظيفته في رسالة التربية . الرياض: الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية .

٢٣- الفاروقي ،إسماعيل (١٩٨٢م) : أسلمة المعرفة ،مجلة المسلم المعاصر ، العدد (٣٢، ص ص ٩-١٩) بيروت :مؤسسة المسلم المعاصر .

٢٤- الكيلاني ، ماجد عرسان (١٩٩٢م) : فلسفة التربية الإسلامية في زين العابدين الطيب، إعداد : المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية ، المعهد العالي للفكر الإسلامي – هيرندا .

٢٥- الكيلاني ،ماجد عرسان(١٩٨٨م). فلسفة التربية الإسلامية . مكة المكرمة :مكتبة هادي .

٢٦- محمد محمد محمود (١٩٩٦م) : علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، جدة: دار الشروق .

٢٧- مرسي ، كمال إبراهيم (١٩٨٤م) : التوجيه والإرشاد فلسفته وأخلاقياته في المجتمعات الإسلامية ، المجلة التربوية العدد: الثاني . الكويت :مجلس النشر العلمي .

٢٨- نجاتي ،محمد عثمان (١٩٩٣م) : منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس . في المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،إعداد : أبحاث ندوة علم النفس ، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٢٩- النحلاوي، عبدالرحمن(١٤١٦هـ) أصول التربية الإسلامية .بيروت:دار الفكر المعاصر

٣٠- النووي ، يحيى شرف الدين (١٣٩٢هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . بيروت :دار إحياء التراث العربي.

٣١- الهاشمي ،عبد الحميد (١٩٨٣م) : علم النفس في التصور الإسلامي ، دراسة تقويمية إيجابية في المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي ، مكة المكرمة :جامعة أم القرى.

٣٢- يالجن ،مقداد (١٩٩٦م) : أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون ، الرياض: دار عالم الكتب.